مقدمة

هذه بحوث كان كتبها الأستاذ "الأمراني" في أوقات مختلفة وتحت عناوين مختلفة، غير أن موضوعها واحد، وهو المنحى الأدبي والشعري عند الإمام "النورسي" رحمه الله في رسائله "رسائل النور".

والأستاذ "الأمراني" أديب وشاعر وناقد معروف، فتقويمه للإمام النورسي، وعدُّهُ واحداً من كبار الأدباء والشعراء يأتي ضمن دراسة نقدية مُعمَّقة يمكن الاطمئنان إليها والوثوق بها.

وإلى ذلك فإنَّ هذه البحوث تكتسب أهمية خاصة لدى المعنيين بالأدب لكونها محاولة جادّة في الكشف عن الصلة والنسب بين العبقرية الشعرية والعبقرية الدينية، فالعبقريتان كلتاهما تنبعثان من رهافة وجدانية عميقة الغور في النفس الإنسانية.

فما من عبقري في الشعر إلاَّ وله من الدين ملمح أو ملامح عُرف ذلك أم لم يُعرف، وما من عبقري في الدين إلاَّ وله من الشاعرية قسط قلَّ أو كثر، يرمز إلى ذلك ويومي به تلكم المعلقات من درر الشعر على جدران الكعبة أول بيت للدين على وجه الأرض. أما الأبلغ في الإفصاح فنلتقيه عند شعراء الصوفية، أو صوفية الشعراء، منذ أقدم الأزمان وحتى هذا اليوم.

obeikandi.com

ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا -ونحن نشير إلى الصلة والنسب بين الدين والشاعرية- أنَّ "العربية" نفسها التي نكتب بها شعرنا، ونقرأ بها قرآننا، هي صنو الكعبة، صفت ورقَّتْ وَعَذُبَتْ وتهذبت بألسنة القرشيين خُدَّام البيت الحرام حتى غدت كائناً روحياً يتدفق بالحياة والخيال والشاعرية وبالنفحات الدينية. فالأديب أو الشاعر الذي يكتب بها تأتي كتاباته مثقلة بكل هذه الخصائص، ومحمَّلة بإرث لغوي شاعري الهوى، ديني المنزع، فلا جرم أن تكون بعد ذلك مبعث أي إبداع في الدين أو الشعر.

والأستاذ "الأمراني" يشير إلى أنَّ "رسائل النور" مكتوبة بالأساس لخدمة الإيمان والقرآن، غير أن منحاها الأدبي والشعري ملحوظ في الكثير منها، وأما كتابه الفذ "المثنوي العربي النوري" فهو الأكثر توكيداً على هذا المنحى، وعلى عمق الشاعرية عند هذا الرجل، فقارئ هذا الكتاب يستنشق عبير شاعرية "النورسي" فوّاحةً من بين الكلمات والسطور، الأمر الذي جعل "الأمراني" يفرد بحثاً كاملاً للمقارنة بين شاعرية النورسي وشاعرية إقبال، مشيراً إلى الكثير من نقاط الالتقاء بين الشاعرين، وإنَّ أبرز ما يختلفان فيه هو أن "إقبال" شاعرٌ قبل أن يكون مفكراً، أما "النورسي" فهو مفكر قبل أن يكون شاعراً. ولم يَرَ الأستاذ "الأمراني" بأساً في كون "النورسي" لم يقل شعراً كما قال الشعراء، ولم يلتزم بضوابط الشعر وقواعده، فلم يلتفت إلى هذا، ولم يلقِ إليه بالاً، لأنَّ الذي يهمه من "النورسي" روحه الشاعرية، فأبان عنها وشخّصها وأتى بالنماذج التي تفصح عنها. وأكبر هذه النماذج وأعظمها التقاها الأستاذ "الأمراني" في كتابه "المثنوي العربي النوري".

ولئن كان الإمام "النورسي" معروفاً كمفكر ديني كتب للإيمان والقرآن، إلاَّ أنَّ قلة من المعنيين بجديد الفكر تهيأت لهم فرصة معرفته عن كثب، واكتشاف عبقريته الأدبية، ومنهم الدكتور "الأمراني".

وأحسب أن هذا الكشف سيهم بتعريف المثقفين بــ"النورسي" الأديب إلى جانب "النورسي" رجل الإيمان والقرآن.

والأستاذ "الأمراني" يرى أنْ لو تهيأً للمثنوي مَنْ يترجمه إلى إحــدى لغــات العالم الأكثر انتشاراً لكان من الممكن أن يحظى باهتمام وتقدير كــبيرين مــن أوساط واسعة من المثقفين في الغرب كما يحظى "مثنوي" الرومــي اليــوم، لأنَّ الإمام "النورسي" في "مثنويه" هذا، قد خاطب القلب الإنساني الذي هو واحــد عند العالمين جميعاً، واستطاع أن يجد المنفذ إليه، بل كان قادراً علــى أن يبعــث القلوب الميتة من مدافنها، وينشئها إنشاءً آخر، ويعلو بها، ويزيد في تزكيتها حتى تصبح مرآة صقيلة قابلة لاستقبال تجليات ربّها، ولتغدو -بعد ذلك- منبعاً نورانياً عظيماً تستقي منه القلوب أنوارها، وتجد فيه النفوس راحها وريحانهــا، والقلــم الذي يستطيع هذا كُلَّهُ لا شك أنه قلم أديب روحاني المنــزع، إلهي المــشرب، وهذا هو الذي أراد الأستاذ "الأمراني" أنْ يجليه للقراء من خلال هذه البحــوث التي بين أيديكم.

أديب إبراهيم الدباغ

obeikandl.com

تمهيد

يعرف الناس بديع الزمان سعيد النورسي رجلا متعدد المواهب، فهو العالم الرباني المصلح والمفكر، والمرشد الحكيم المربي والمنظر والمتكلم الألمعيّ والمفسر، ولكنهم قلما يعرفونه أديبا، وقلما عني الدارسون، حتى في تركيا نفسها، ببديع الزمان النورسي أديبا. وعندما وجه إليّ مركز رسائل النور عام ١٩٩٥ الدعوة للمشاركة في المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي، كان بين يديّ عدد من رسائله التي اقتنيتها متفرقة عبر عقود، وكان من بينها مختارات من المثنوي العربي النوري بعناية الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ، وما كنت أعرف أن كليات رسائل النور قد صدرت كاملة ومترجمة بعناية الأستاذ إحسان قاسم الصالحي. وكعادتي، ما أردت أن أخوض فيما لا أحسن، وعزمت على أن التمس بعض الجوانب الأدبية من تراث النورسي، مما هو تحت يدي. وأسعفني في ذلك مختارات المثنوي، ففيها من الأدبية والشعرية شيء كثير، ثم إن بديع الزمان صنف المثنوي بالعربية، مما يجعل البحث في شعرية النص وأدبيته أمراً مشروعا، ولم يكن الأمر هينا لو أراد المرء تلمس تلك الأدبية فيما هو مترجم من رسائله، مع الإقرار بالقدرة الفائقة للأستاذ إحسان قاسم الصالحي في الترجمة التي قد لا يحس معها الإنسان بأن شخصا ثالثا يقوم فعلا بينك وبين النورسي، وهو المترجم. وسجلت بعض الملاحظات، أسعفتني في أن أبعث عنوان بحثي إلى الإخوة القيمين على مركز رسائل النور في استانبول، فما كان من الأستاذ الفاضل إحسان قاسم إلا أن اتصل بي، مستفسرا عمّا إذا كنت أملك المثنوي، فلما أخبرته أنني لا أملك

obeikandi.com

غير مختارات منه، عجّل حفظه الله تعالى بإرسال نسخة كاملة من المثنوي العربي النوري إليّ، فما كان مني إلا أن أنكب على قراءته في نهم، وإذا بي أعثر على نصّ أدبي رفيع، وكنز بياني بليغ لا يكاد ينضب، وإذا همّتي تزداد يقينا على أنني أمام أديب متميز، وأن أدب النورسي بحاجة إلى مصنفات للتعريف به. وقد منّ الله تعالى عليّ، فحظي ما كتبته عن شعرية النص في المثنوي العربي النوري بالقبول، لا من الذين شاركوا في المؤتمر فحسب، بل أيضا من الذين أتيح لهم أن يطلعوا على البحث بعد ذلك منشورا، من العرب والمستعربين على السواء.

لا أريد بهذا أن أزعم لنفسي فتحا في تراث النورسي، وأنني عرفت بجانب مجهول من الكليات، وإن يكن شيء من ذلك فبفضل من الله تعالى، ثم بما أوتي هذا الرجل الإيماني الفذ من موسوعية، ولكني أردت أن أؤكد أن من الصعب تناول أدب النورسي في كتاب واحد، ذلك بأنه رجل -حتى في الجانب الأدبي منه- لا تملك أن تحيط بكل ما كتب. فإذا درست البلاغيين والمهتمين بالإعجاز القرآني كان النورسي منهم، وإذا أردت إلى المهتمين بضرب الأمثال جاء النورسي على رأسهم، فقد استفاد من القرآن الكريم هذا المنهج الأسلوبي القائم على ضرب الأمثال، وقطع فيه أشواطا قلما تجدها عند غيره، وإذا قصدت إلى أهل القصة والحكاية والسرد عثرت على ما يروعك، مع خصوصية لا تخطئها في كتابات بديع الزمان، وإذا جئت إلى الشعراء وجدت نفسك في حيرة من أمرك، ولكنك لا تصرف ذهنك قبل أن تشهد لبديع الزمان بروح شاعرية فذة، ولا يغرنك أن تجد النورسي يقرر أنه حرم نعمة النظم.. فأنت واجد -لاشك- كما سترى ما يثبت أنه يقول ذلك تواضعا، وإلا فهو شاعر مجازا كما يقول القدماء، وهو مع الشعراء مشارك وإن لم يغلب عليه قول الشعر، وما بالك بالذي ينظم في التركية والكردية والفارسية، ثم يشارف الشعر العربي في بعض المقطوعات؟

هذا الموسوعية الأدبية هي التي جعلتني أعدل عن العنوان الذي كان قد قرّ عليه عزمي من قبل، وهو: "النورسي أديبا"، إلى هذا العنوان الفرعي: "النورسي أديب الإنسانية"، ذلك بأن العنوان كان سيتطلب مني شطرا من العمر قد لا أصبر عليه، ثم لا اطمئن إلى بلوغ كل ما أريد، فلذلك آثرت الوقوف عند جانب واحد من جوانب أدب النورسي، وهو إبراز ملامح الإنسانية في ذلك الأدب، فإن جاوزت ذلك بعض التجاوز في بعض هذه المقالات، فبقدر ما يعمل على تجلية الفكرة وبيانها ليس غير.

ولكن ما المراد بالإنسانية في أدب النورسي؟

لعله قد يسبق إلى الذهن ذلك المفهوم الذي نشأ في الغرب، باعتباره مذهبا فلسفيا، ثم أدبيا، وهو المذهب الذي يرى أن الإنسان مدار الكون، في رغبة واضحة في تجريده من مرجعية الألوهية والربوبية، فالإنسان بهذا المعنى متحكم في مصيره، وليس للدين ولا للغيب ولا لأي قوة خارجية عليه سلطان. فليس المراد بالإنسانية في هذه الحال أن تكون العناية بالإنسان في كل مكان، كما قد يظن، وكما هو مطلوب، بل هي مذهب يكاد يقوم على تأليه الإنسان، مثلما عبرت عن ذلك فلسفة سارتر الوجودية، حيث أجرى حوارا بين الإنسان وبين جوبتير، الإله المزعوم، فأراد جوبتير أن يمن على الإنسان بما أعطاه من الخلق، فصاح الإنسان في تبجح: نعم، لقد خلقتني، ولكن خطيئتك أنك خلقتني حرا.

ليس المراد بالإنسانية في أدب النورسي على شيء من ذلك، بل المراد أن الله عز وجل خلق بني آدم وأكرمهم وكرمهم، فقد قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾(الإسراء:٧٠) ومن مظاهر التكريم أن الله عز وجل لم يترك الإنسان هملا بلا مرشد ولا دليل في هذه الحياة، وأنه فطره على الحق: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ

عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:٣٠)، ومأساة الإنسان المعاصر أنه تحير بين فلسفتين: فلسفة تسعى إلى تأليهه بغير حق، على مذهب سارتر، وهو المخلوق الضعيف الذي لا يستطيع أن يتجاوز قدراته التي حباه الله تعالى بها، وفلسفة تسعى إلى مسخه -على مذهب كافكا- وتجريده من كل مظاهر التكريم، والحال أن الإسلام وجه همة الإنسان إلى أن تتعلق بالمثال، وترقى إلى مطلب عظيم، يتجاوز عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فالإنسانية الحق هي التي تخاطب في الإنسان -أينما كان- هذه الفطرة السوية، وترفع عنه الحجب، وتعيد إليه بهاءه الإيماني، متعاليا على الزمان والمكان، ساعيا إلى التحرر من عبادة العباد ليكون عبداً للّه وحده، منطلقا من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. وهذا هو الذي كان يسعى إليه بديع الزمان، وهذا هو الذي نطق به أدبه. وهذا هو الذي تسعى هذه المقالات إلى تجليته أو تجلية بعض ما تيسر منه.

وهذه المقالات هي:

عالمية الأدب الإسلامي في رسائل النور

نحن والأدب الغربي

شعرية النص في المثنوي العربي النوري

بلاغة التكرار في القرآن الكريم

الأدب القرآني: من مظاهر التجديد الأدبي في رسائل النور

بديع الزمان النورسي ومحمد إقبال.

البلبل والوردة: مدخل لدراسة مقارنة.

obeikandi.com